اختلاف، ومن اتّفاق بعد شقاق، أثراً من يمن ضيفة له نزلت عليه آنذاك، وليدة جديدة بنيّة زادت في عدد الأسرة السعيدة. في الحجرة الواسعة قبالة باب الدار، التي كانت مخدع الزوجين الكريمين، وضعتها الأم. لَكَم فرحت بها خديجة، فلعلّها قد هنّأها، كما لم تُهنّأ من قبل بمولودة، أن رأت في محيّا الابنة الضاحي، طلعة أبيها الحبيب. وكم فرح محمد، لعلّه قد هنّأه أن وقع في روعه تلك الساعة: أنّ صغيرته هذه ستكون أم عترته الأطهار. إنّ العرب أُمة تطلق لفظة «الأبتر» على من لا ولد له من الذكور، تكره أن تنجب الإناث، تؤثر أن تزفّ البنت إلى القبر على أن تزفّها للعروس. (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُون أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ)[255]. فإذا كان الزوجان الكريمان قد خامرهما الحنين إلى مولود ذكر بعد ثلاث بنات، فذاك حنين طبيعي، ولكنّه موقوت، ما كان ليغيّر شيئاً من حبّهما الغامر لهذه الوافدة الذي ليس كمثله حبّ، ومن إيمانهما الثابت بأنّ الخير كلّ الخير فيما شاءه ا. أَوَ ما طهّرهما ا من رواسب الجاهلية؟ أَوَ ما جنّبهما الخضوع لتقاليد مجتمعهما الضالّ؟ وها هي هذه الابنة الأخيرة، تأتي وفي ركابها البركة، كما كان مولد أبيها من قبل، بشيراً بنجاة قريش من حرب أهلية ضروس[256]، كانت حريّة بأن تنشر الموت والخراب. يُمن من يُمن، نجم سعيد يلد، يلده نجم سعيد.